الفصل السابع

ورطة فى موسكو

هو ينظر بلا مبالاة إلى موقف انتظار سيارات الوكالة فى مطلع عام ١٩٥١ أدرك « الخنفس » سميث ان ميراثه كمدير جديد للـ « سى ـ أى ـ إيه » قد أصبح فعلا ضحية لتاريخها القصير . أما أولئك من أمثال روزيتزكى من مكتب العمليات الخاصة « أو ـ أس ـ أو » فقد كانوا موظفين حكوميين قادوا البلاموس والدوج التقليدية .

على العكس من ذلك فإن نماذج من النظريين الجامعيين الذين يعملون فى مكتب التنسيق السياسى « أو ـ بى ـ سى » قد تم توظيفهم لأداء مهام مؤقتة وجاءوا من البنوك والمكاتب القانونية والشركات الكبيرة بواسطة فرانك ويزنر وقدموا نماذج رياضية مبهرة تدعو إلى التباهى .

لم يحاول أى شخص إخفاء حقيقة الانقسامات الاجتماعية المحزنة داخل الوكالة والتى انعكست فى صورة منافسات مهنية شرسة . وفى خلال العام الماضى تمكنت كلتا المجموعتين من مضاعفة الأعضاء العاملين والموارد والطموحات إلا أن النفور المتبادل بينهما قد حال دون وجود حماس مشترك لتحطيم الشيوعية .

وإلى حد ما يجرى تنفيذ العمليات لتدعيم السمعة السياسية للوكالة أكثر من الالتزام بتنفيذ استراتيجية استخبارية .

فى عام ١٩٥١ قام سيمث بتعيين آلان دالاس للعمل على التوصل إلى اتفاق لتنفيذ عملية إدماج برضاء الجانبين من أجل القضاء على الازدواجية وفرض سيطرة أكثر إحكاماً ومع ذلك لم تحقق الجهود البيروقراطية التى بذلها الرجل نجاحاً سريعاً .. وقد أدى تعيين دالاس إلى تشجيع « أو ـ بى ـ سى » و « أو ـ إس ـ أو » على زيادة أنشطة التجسس الجادة ولكن أيضا الانغماس فى مهرجانات مظهرية .

لقد قام ويزنر الذى وصفه فيلبى بدون لطف بأنه معتد بنفسه يميل إلى السمنة ـ

بتجنيد أى شخص وكل الاشخاص الذين أوصى بهم « شخص ما » فى الشبكة .

إن نفس الوكالة التى كانت تنفق مبالغ كبيرة من الأموال لمساندة مواطنى أوكرانيا وروسيا البيضاء وجورجيا وألبانيا ودول البلطيق وبولندا تقوم بإطلاق بالونات تحمل سلالاً من منشورات الدعاية الإخبارية عبر الستار الحديدى وإرسال دعوات مطبوعة على ورق مصقول إلى حفلات استقبال وهمية فى سفارات الاتحاد السوفيتى فى عواصم دول غرب أوروبا وإسقاط قنابل دخان على حشود الشباب فى برلين الشرقية .

وفيما بين الجانبين المتطرفين كانت الإدارة الأمريكية متمسكة بالحرب النفسية من أجل كسب قلوب وعقول الشخصيات الهامة من خلال تمويل محطات الراديو ودور النشر والصحف والمؤسسات .

فى أوائل الخمسينات كانت الحرب مستعرة بين الأيديولوجيات على الأصعدة الفكرية أكثر من الأصعدة العسكرية كانت هيئة الحرب النفسية برئاسة الجنرال روبرت مكلور تعتبر عاملا مساعداً فى الصراع .

بالنسبة لسميث كان يرى بعد كل ذلك أن كلا من الدعاية السوداء ومهمات الحقائب السوداء قد أصبحت خارج السيطرة .

استدعى سميث صديقه لوكيان تروسكوت من التقاعد لإعادة تقييم العمليات السرية للوكالة فى روسيا والدول التى تدور فى فلكها . وكان سكوت رجلاً داهية يمتلك حس الجندى المقاتل الذى قاد الجيش الخامس حتى عام ١٩٤٥ وبدا واثقاً من مهمته الجديدة عندما أعلن عن عزمه التوجه إلى ألمانيا للاطلاع على مايجرى هناك .

وصل تروسكوت إلى ألمانيا فى ابريل ١٩٥١ يرافقه اثنان من المساعدين الشباب هما بيتر جيسوب وتوم بولجار ، واللذين يحملان رأياً متحاملاً سلفاً إزاء نماذج « أو ـ إس ـ أو » و« أو ـ بى ـ سى » الذين يمكن خداعهم بسهولة وكان من أهدافهم المبكرة « مايكل بورك » الذى كان يتابع المغامرة الألبانية بعد الانسحاب البريطانى رغم وجود دلائل على أنها حلت وكذلك وولبول ديفيز الذى قدم ملايين الدولارات لمساندة جماعة سرية أيرلانديه تسمى « دبليو ـ أى ـ ان » .

أدى شك تروسكوت الواضح إلى إثارة حنق أولئك الذين هم على شاكلة بورك الذى تصادف أنه كان يعيش حياة رغدة مع زوجته على حساب الـ « أو ـ بى ـ سى » وقد كان هذا الشعور بالحنق متبادلاً .

وصلت مواجهة سكوت الذروة مع هؤلاء المتأرجحين القانعين إلى القمة عندما قذف بورل بكأس خمر على وجهه وهى الحادثة التى أوصى بها الجنرال بشدة إلى مارى روزتيزك وديفيد ميرفى .

قام تروسكوت وبولجار بتفقد معسكرات التدريب التابعة لـ « أو ـ إس ـ أو » التى مازالت تتوسع فى كافبرن فى مطلع عام ١٩٥٢ حيث يتم اطلاعهم على المنازل المصادرة فى الغابات وعلى طول ضفاف البحيرات الواقعة جنوبى بافاريا حيث يتلقى عشرات العملاء تدريبات على القيام بمهام سرية .. وقد جاء رد الفعل على حماس روزتيزك وميرفى وثنائهم على طموحات الوحدات وفرص النجاح فاتراً .

وقد أعلن تروسكوت فى هذه الأثناء أن هؤلاء العملاء لن يستمروا ؛ لأنهم معروفون فى اوساط اللاجئين ومن المؤكد ان يتم اختراق هذه المجموعات من اللاجئين .

وتساءل بولجار وماذا سيفعل هؤلاء عندما يصلوا إلى هناك ؟ إذا كانت ٢٧٠ فرقة المانية قد أخفقت فى الإطاحة بستالين فإنه لايفهم ماذا يريد هؤلاء اللاجئين أن يحققوا .

إلا أن ميرفى الذى بدا مقتنعاً بوجود حركات مقاومة على طول الحدود برد هذه الشكوك قائلاً : « حتى اذا لم يرسلوا إلينا استخبارات جيدة فإننا سنسبب كثيراً من المتاعب للروس عن طريقهم » .

وتابع روزتيزك قائلاً : إن أولئك الموجودين فى الكرملين لابد أن يشعروا بالرعب تماماً ، وقد جاء فى مذكراته فيما بعد كيف عاش ساعات طويلة من التوتر والقلق الحاد فى وقت كانت فيه حياة عملاء الوكالة فى خطر وهم يحاربون شبح مخطط لغزو العالم .

وعق بولجار على هذا الكلام ساخراً : إن الشىء الوحيد الذى تثبته هو قانون الجاذبية .

وقال تروسكوت ـ إن أرواح الناس تتعرض للخطر عندما يتفرجون على آخرين يضعون اقدامهم فى الماء إلا أنهم لايجدون شيئاً وها نحن نفس الحال لانحصل على أى استخبارات .

ومن بين المغامرات التى سيبحثها تروسكوت فيما بعد ويعتبرها دليلاً على الإهمال قيام « إس ـ أو ـ إس » بإرسال مجموعتين من الليتوانيين للنزول على شواطىء بولندا .. فقد قام ضابط اتصال وكالة « سى ـ أى ـ إيه » ميك انيكيف بالاتفاق حول التفاصيل مع مجموعة رينهارد جيهلين التى اصبحت فيما بعد وكالة المخابرات

الخارجية الالمانية وكان واثقاً من سلامة الإجراءات الأمنية بصورة مطلقة . وفيما بعد انتهت عملية الهبوط بكارثة رهيبة حيث هاجم الحراس هؤلاء العملاء فجأة ولقوا جميعاً حتفهم . وفى رأى تروسكوت أن هذه الأحداث لابد وأن تكون قد نبهت العاملين فى « أو ـ إس ـ أو » على الأقل لاحتمالات اختراق « كى ـ جى ـ بى » لصفوفهم .

ولكن عندما لقوا فيما بعد ذلك جنرالات ذوى أربعة نجوم بعد ذلك من واشنطن خلال صيف عام ١٩٥١ لإعداد تقرير حول استعدادات « أو ـ إس ـ أو » للحرب السرية والتى تمت مناقشتها فى اجتماعات خاصة لرؤساء أركان « لجنة ادحوك حول الأنشطة السرية » لم يبد أى واحد منهم شكوكاً حول هذه العمليات . على العكس طالب كل واحد منهم بتنفيذ مهام أكبر وأكثر طموحاً . فقد كانت واشنطن فى حاجة إلى معلومات استخبارية من داخل روسيا وفى النهاية ترغب فى إزاحة ستالين .

كان من رأى لجنة الاستخبارات المشتركة أن أكثر الأهداف قابلية لإشعال الثورة ضد ستالين هى دول االبلطيق .

كما ترى أن أحسن مصدر لتجنيد عملاء لتنفيذ هذه الأهداف هو المجموعات القومية الموجدة التى ترغب تطوعاً فى الانضمام إلى الكتائب العسكرية المناهضة للشيوعية وتتوقع الحصول على مساندة أمريكية لنيل الاستقلال عن الاتحاد السوفيتى .

وبعد ان تلقت وزارة الدفاع الامريكية ـــ البنتاجون ـ مبلغ ١٠٠ مليون دولار بموجب ـ اتفاقية الأمن المتبادل ـ لتمويل العمليات العسكرية تم إقامة معسكر دائم للتجنيد يضم مجموعات من العملاء المحتملين وكان هؤلاء هم الذين تم التاكيد للجنرال ايزنهاور خلال جولة تفتيشية أنهم على درجة من الأهمية الحيوية من أى حرب قادمة انطلاقاً من أن دول البلطيق ترتبط بعلاقات صداقة مع الغرب .

فى مثل هذا المناخ كان من اليسير على ميرفى وروزتيزك ألا يكترثا باعتراضات تروسكوت وكانا على قناعة بأن شرحهم الواضح للعمليات المتوقعة يقود إلى النجاح .

لذا رأيا أن من الأفضل تجاهل فظاظة تروسكوت خاصة اعتراضاته حول الخسائر وكان من بين أولئك الذين وصلوا حالا للتدريب فى كافبورن ثلاثة من مواطنى لاتفيا حيث تم تجنيدهم عن طريق لاوناجس فى السويد وكان ميرفى يعتزم إرسالهم فى مهمة بأسرع مايمكن .

وكما هـو الحال فى جميع المهام المتـوقعـة تم إرسال الأوراق التى تحمل تفـاصيل المهمة إلى واشنطن للموافقة . وبعد أن درس جورج بليك الرئيس الجديد لقسم البلطيق فى المقر الرئيسى لوكالة بدقة أوراق المهمة قام بتمـريرها فى أروقة الوكالة لتوقيعها من المختصين وكان أخر شخص يوقع على هذه الأوراق بالموافقة هو ريتشارد هليمزمدير العمليات .

ورغم ادعاء هليمـز بأنه كان دائما فى ريبة مـن هؤلاء رعاة البقر ومن جـدوى هذه العمليات باعتبـارها تشبه ـ لسعـة البرغوث ـ فإن بليك لم يجد أى معارضـة تذكر من الثورة الأمريكية .

وقع هليمـز بالموافقة على مهمـة أبناء لاتفيـا تماما كما سبق وأن وافـق على عملية إنزال الليتوانيين من قبل .

فى البدايـة قام لاوناجس ولـونيدس بروبمبرج ـــ وهو زميل لاتفى جـاء أيضا من السويـد ـ بتدريب الـلاتفيين الثلاثـة إضافة إلى اثنين من الأمـريكيين يحملان اسمين حركيين هما ايـرنست وبول . ولكن فى مارس ١٩٥٢ تـولى مسئوليـة التدريب شخص أمريكى من أبوين لاتفيين هو بول هرغان مستخدماً اسما حركياً هو ـ الكولونيل كول ـ وكان هارتمان يعمل من قبل فى وحدات مكافحة المخابرات المعادية فى أوربا مسئولاً عن تفتيش المعسكرات الخاصة باللاجئين ثم أصبح مسئولاً عن عملية لاتفيا رغم قلةخبرته فى العمليات الاستخبارية .

وعلى أية حال فقـد كان يملك دافعاً قوياً وفخـوراً بمعلوماته الأمنيـة التى استقاها خلال سنوات عمله فى معسكرات (دى.بي) فقد كان يردد أمام زملائه « أننى أعرف كل شىء عن « ترست » ولكن لا أصدق أحد سـواء البريطانين أو المهاجرين . وكان كل همه إيجاد أشخـاص يعملون لصـالح الـ « سـى ـ أى ـــ إيه » فى الاتحاد السـوفيتى دون الانتباه كثيراً إلى التفاصيل .

وبعد أن مـر اللاتفيـون الثلاثـة على جهاز الكشف عن الكذب طلـب هارتمان من لاوناجس وبـرومبرج مغادرة المعسكـر حتى يتولى المرحلة من تـدريبهم ومن الأفضل أمنياً ألا يعرف أحد غيره بمكان الهبـوط المقترح .. وأصدر هارتمان تعليماته إلى العملاء الثلاثة بضرورة الاهتمام بالحصول على معلومات طازجة وعدم التركيز على الباراتيزان والمعادين للشيوعية إنما الاتجاه إلى خلق شرعية لوجودهم ويعيشوا حياة عادية . وكان

من الواضح أن الغرور قد أقنع هارتمان بأنه لا يمكن أن يقع ضحية للخداع .

فى يوم ٣٠ أغسطس تم إنزال الثلاثة الفريد سن ريكستينس (ايمانتس) ونيكولاى بالوديس (بوريس) وأدفينس أوسولينس (هربرت) بالمظلات بعد أن حصلوا على تأكيدات بأنه سيتم فى نهاية المهمة إما إجلاؤهم بالقوارب أو يتوجهوا اعتماداً على أنفسهم إلى سفارة الولايات المتحدة فى وارسو أو هلسنكى باستخدام الوثائق المزورة والدولارات والذهب الموجود معهم فى الأحزمة .

وكما هو الحال مع جميع العملاء الأمريكيين تلقى الثلاثة وعوداً بالحصول على مبلغ ١٥ ألف دولار مكافأةبعد عودتهم سالمين أما إذا مالقوا حتفهم فإن هذه الأموال ستدفع إلى أقرب الناس إليهم وقد ساهمت هذه الوعود فى إثارة حماس العملاء وتحفيزهم .

إلا أن الرياح قد تأتى بما لا تشتهى السفن فقد تعرضت خطة هارتمان الدقيقة للفشل خلال دقائق من سقوط العملاء الثلاثةفى غابة كورلاند القريبة من حدود ليتوانيا فقد سقط بالوريس على مسافة بعيدة من ريكتينس واوسولينس وبذلا جهوداً مضنية للعثور عليه إلا أنهما فشلا فى ذلك .

وبعدأن دفنا مظليتهما والمعدات الثقيلة التى فى حوزتهم سار العميلان فى اتجاه مزرعة يقطن فيها عم لريكستينس وبعد شروق الشمس اكتشف الرجلان وجود دورية تابعة للجيش على الطريق مما دفع ريكستينس إلى الهرب وسط أشجار الغابة مذعوراً والركض يتبعه زميله إلى الهرب فى اتجاه المزرعة وبعد أيام قليلة تمكنت عناصر من كيه. جى. بى كشف مخبأهما بمساعدة أحد المخبرين فقام ريكستينس بابتلاع أقراص السيانيد واستسلم اوسولينس .

فى ريجا بدا الجنرال فيفرز وكأنه على وشك أن يكرر نفس الخداع الذى نفذه فى عملية لارسين اسن ضد الولايات المتحدة إلا أنه شعر ان انتصاره غير مكتمل نتيجة وجود العميل الثالث بالوديس حراً قادراً على جمع المعلومات وإرسالها إلى ميونيخ .

كان فيفيرز يعرف بداهة ان الـ «سى ـ اى ـ إيه » والـ « إس ـ اي ـ إس »يجريان اتصالات منتظمة لمقارنة المعلومات الاستخبارية القادمة من الاتحاد السوفيتى .

ومن المؤكد أن تقارير بالوريس ستتضارب بالضرورة مع التقارير المزيفة التى

تعدها كيه. جى. بى وترسلها إلى « إس ـ اى ـ إس » عن طريق مجموعات البارتيزان .

حتى وصول العملاء الأمريكيين كان فيفيرز على يقين أن غياب الاسئلة الواردة من لندن حول التنقاضات فى التقارير الاستخبارية التى تم إرسالها بالفعل هو دليل واضح على ان إس ـ أى ـ إس» قد فشلت فى إقامة عملاء حقيقيين مستقلين فى الاتحاد السوفيتى . أما الآن فإن رسالة واحدة دقيقة من بالوريس خاصة للافادة عن عدم وجود بارتيزان فى الغابة ستكون أكبر خطر على استمرار خداعه للـ « اس ـ اى ـ اس».

وبعد أن قام الميجور بوند وليس باستجواب اوسولينس فشل فى الحصول على اى مساعدة منه لمعرفة مكان زميله إلا أنه فى وقت لاحق كان اوسولينس هو مفتاح القبض على بالوديس بعد أن عرض بوندوليس على اوسولينس فى الزنزانة الاختيار مابين الإعدام أو التعاون فاختار الطريق الثانى .

وفيما بعد ادعى السوفيت ان اوسولينس كان عميلاً ـ للكيه. جى. بى ـ تمكن من اختراق (أو ـ إس ـ أو) واسمه الحركى ابيلون تم زرعه فى أو. إس. أو إلا أنه لا يوجد دليل يؤكد ذلك بصورة مطلقة .

حتى قبل أن يتخذ اوسولينس قراره بالتعاون ارتاب هارتمان فى القبض على المجموعة نظراً لأنه لم يتلق أى إشارة بالراديو تفيد وصول أفراد المجموعة سالمين .

وأدت هذه الواقعة إلى وجود أزمة فى فرع البلقان فى كالة المخابرات المركزية الأمريكية بعد أن بدت إجراءات الأمن المطبقة بدون جدوى . وتأكيداً على ذلك بدأت الصحف ومحطات الإذاعة السوفيتية فى نشرو إذاعة سلسة من البيانات تصف أدق أسرارمعسكرات كيمبتون وطانوبورن التى تستخدم فى تدريب أبناء روسيا البيضاء وأوكرانيا ودول البلطيق وذكرت بالاسم عدداً من ضباط السى. اى. ايه .

وخلص هارتمان وميرفى إلى أن هذه المعلومات تم الحصول عليها من عملاء بعد وقوعهم فى أيدى المخابرات السوفيتية إلا أن لاونجس وآخرين من العاملين فى الوكالة عبروا عن اقتناعهم بقيام كيه. جى. بى باختراق المعسكرات مؤكدين« أنهم يعرفون حتى نوع طعام الإفطار الذى نأكله» .

بعد أربعة أسابيع من مغادرة أفراد المجموعة الثلاثة قام هارتمان بشطب أسمائهم ولم يكن من الضرورى أن يخضع هارتمان نفسه لاستجواب أو تحقيق أو حتى يعاني من رد فعل عاطفى نتيجة خسارته المحتملة لهؤلاء العملاء وقال موجهاً كلامه إلي

لاوناجت : « إن ذلك جزء من مهمتنا » .

خلال مراجعة العملية تكهن روز تيزك أنه قد يكون هناك اختراق آخر عن طريق اللاتفيين الذين يجرى تدريبهم أو من أعضاء كتيبة العمال اللاتفية . وفعلاً كان فرع كيه. جى. بى فى لاتفيا قد تمكن من زرع عملاء فى الكتيبة ولكن فور القبض على اوسولنيس توقفت تقاريرهم .

فى حقيقة الأمر ليس كما اعتقدت فيفيروز أنه تم الكشف عن عملائه بل إن ماحدث هو إنه لمنع المزيد من الاختراق تم نقل التدريبات على العمليات المستقبلية إلى واشنطن بعيداً عن متناول الكيه. جى. بى .

وفى الوقت الذى رتب هارتمان لإجراءات الانتقال حصل بوندوليس من اوسولينيس على خطاب مكتوب بخط اليد لإرساله إلى عنوان سرى فى ألمانيا الغربية . تضمن الخطاب المكتوب بحبر سرى تقريراً من اوسولينس يذكر فيه أنه فى أمان إلا أنه فقد الاتصال مع زميليه الآخرين وتساءل عما إذا كان ــ الكولونيل كول ـ يعرف مكان وجودهما .

ودفع الشغف للحصول على المعلومات بوندوليس إلى إرسال رسالة ثانية ثم بعد ذلك استخدم جهاز الإرسال الخاص بريكستينس « الميت » على أنه جهاز اوسولينس .. وقام ضابط كيه. جى. بى بشرح كيف أن جهاز الراديو قد تم إصلاحه للتو وتساءل عما إذا كان هناك أى معلومات عن « بوريس » (بالوديس) وقد تم تكرار إرسال الرسالة الأصلية عدة مرات كما هو مخطط دون أن يكون هناك أى رد .

وقد ظل هارتمان مرتاباً بشدة حتى بداية شهر نوفمبر عندما أخبره أوسولينس كتابة أن جميع أمواله قد نفذت . وقد احتوى نفس الخطاب بعض المعلومات الاستخبارية وقد وافق هارتمان على أن استقبال الرسالة لابد أن يكون معروفا فى ألمانيا الغربية . وقد تزامن هذا الاتصال الأول مع القبض على بالوديس .

خلال الشهور التى كان بوندوليس يخشى من خطر فضح عملية خداع الـ سى ـ اى ــ اس لم يمارس بالوديس دور العميل ولكن كان يعيش بدلاً من ذلك حياة ذات

أسلوب مرفه . بعد هبوطه فى الغابة قام بدفن معداته وسافر مباشرة إلى عشيقة قديمة له حيث أنفق معها المبالغ الكبيرة من الأموال والذهب الذى حصل عليه من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

وقد انتهت هذه الحياة الرغدة على نحو مفاجىء خلال حملة تفتيش روتينية فى إحدى محطات السكك الحديدية حيث تبين أن أوراقه المزورة غير كافية .

ومع تأكد فيفيرز ـــ بعد استجواب بالوديس ـــ أنه لم يرسل أى معلومات استخبارية دقيقة إلى واشنطن وقرر ضرورة استخدام اوسولنيس كمغناطيس لجذب عملاء أمريكيين آخرين من خلال إرسال تقارير منتظمة. ولم يتم التأكد من مصير بالوديس أدى وصول أول خطاب من اوسولنيس ورسالة الراديو فى نهاية عام ١٩٥٢ إلى اطمئنان هارتمان أن مخاوفه الأولية كانت جزئياً بدون اساس .

وفى غضون ذلك كان لاوناجس وزميله ضابط التدريب اللاتفى « ليونيدس برومبرج » ، يعيشان عيشة رغده فى بلايتسبرج بولاية مريلاند القريبة من واشنطن يستمتعان بما وصفه قدم بالقطار المغناطيسى .

قدم هارتمان إلى الرجلين اثنين من أبناء لاتفيا لتدريبهم على مهمة قادمة وكان الأهم فيهما هو ليونيدس زارنيس البالغ من العمر ٢٥ عاماً والمولود فى لاتفيا وتمكن من الهرب مع والديه إلى الغرب عام ١٩٤٤ وبعد ذلك بأربع سنوات هاجر إلى الولايات المتحدة ودرس الهندسة فى جامعة لوزيانا.

وعند التخرج كتب زارنيس مقالاً تضمن هجوماً لاذعاً استنكر فيه الاحتلال الشيوعى لوطنه وفى وقت لاحق بعث بالمقال الذى تضمن الهجوم إلى البيت الأبيض وحث الرئيس الأمريكى إلى اتخاذ إجراء ما .وبعد ذلك تم تمرير الخطاب إلى وكالة المخابرات المركزية ليستقر أخيراً فى أيدى هارتمان الذى استدعى بدوره الشاب الذى كان يعمل فى ذلك الوقت فى شركة « بيل للتليفونات » لمقابلته .

لقد جاء اللقاء بين الشاب المثالى المتحمس وضابط المخابرات الطموح بعد أوقات متزامنه مع بدء وصول رسائل اوسولنيس إلى واشنطن . وقد تم اقناع زارمنيس بسهولة لقبول فرصة الكفاح من أجل حرية بلاده وسال لعابه للحصول على المبلغ

الكبير الذى وعد به . بعد إعلان قبوله تم نقله مع مجند آخر إلى مزرعة فى ولاية فرجينيا حيث خضع لتدريبات مكثفة بواسطة تسعة معلمين كان من بينهم برومبرج ولاونجس .

وهكذا مابين ليلة وضحاها بدأ مأزق هارتمان المتمثل فى عدم وجود عملاء فى روسيا أو مجندين لإرسالهم يجد طريقه إلى الحل . وقد حرص على زيارة المزرعة مرتين فى الأسبوع بشغف للوقوف على مدى تطور عمليات التدريب حيث أكد له لاونجس أن كل شىءيسير كما هو مخطط له ولكنه لم يكشف عن الكثير من اتصالاته مع اوسولينس .

خلال تلك الفترة تعرضت رغبة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لتنفيذ العمليات السرية إلى انقلاب مزدوج من جانب السياسيين . فقد تم انتخاب دوايت ايزنهاور رئيساً للولايات المتحدة بعد حملة انتخابية تميزت بوعد جون فوستر دالاس بأن تقدم الإدارة الجمهورية بإنهاء السياسة السلبية التافهة المعمرة المعروفة باسم سياسة احتواء الشيوعية والتى تترك بشراً لا حصر لهم أمام الطغيان والإرهاب الملحد وفى المقابل مكنت هذه السياسة الحكام الشيوعيين من تحويل الشعوب الأسيرة إلى سلاح لتدمير الولايات المتحدة .

أما أخوه آلان نائب مدير الوكالة للتخطيط فقد دعا إلى شن حملة صليبية روحية من أجل تحرير الشعوب الأسيرة فى شرق أوربا . ووضع السناتور جوزيف ماكارثى هذه التعهدات فى ابلغ صياغة عاطفية عندما قال ـــ ستالين هو ستالين ـ وأكد هذا السياسى الجامح أن ستالين يدبر مؤامرة شيوعية عالمية وقد تقبل الناخبون هذه الآراء رغم ان تأييدهم لمزيد من العمليات قد ترافق مع الكشف عن العديد من العمليات المحرجة .

فى شهر ديسمبر أذاع راديو وارسو سلسة من البرامج حول مجموعة المقاومة دبليو ـ اى ـ ان التى حصلت على مساندة كبيرة من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مكان تقييم ويزلزلها فى او. بى. سى بأنها تجتذب حوالى ٥٠٠ من الناشطين إلى جانب ١٠٠ أف متعاطف . وكان قد تم تهريب صور عن دبابات محترقةومبانى للشرطة وقد نهبت من السلاح لتكون دليلاً على نجاح العمل السرى ضد الشيوعية .

دون شك وثقت « سى ـ اى ـ ايه » و « إس ـ أى ـ إس » فى مصداقية حركة

« دبليو ـ أى ـ ان » حتى برهن راديو بولندا على أن هذه الشبكة كانت منذ البداية عملية خداع حبكتها كيـه. جى. بى . وفى نفس الوقت ظل العاملـون فى تشغيل أجهزة الإرسال الذين أوفدتهم المخابرات الأمريكية والـ « اس. اى. اس » صامتين .

وفى غضون ذلك انتهت المحاكمة الداخلية التى جرت فى (ام. اى فايف) لكيم فيلبى نهاية غير حاسمـة دون اعتراف أو احتمال للمحاكمة رغم ان جى. ايدجار هوفـر مدير مباحث التحقيقات الفيـدرالية ـ اف. بى. اى ـ كـان مقتنعا أنه مذنبـاً وأخذ يكيل اللوم ضد البريطانيين لأنهم تسببوا فى فشل وإجهاض العديد من العمليات الأمريكية .

أما فى داخل المخابرات المركزية الأمريكية فقد لعب جيمس جيسس انجليتون دوراً مفيداً فى إقنـاع ـ الخنفس ـــ سميث والآن دالاس ان « دبليو ـ اى ـــ ان » كانت خـدعة مثـالية ممـاثلة « اللترست » . واكتشـف ان الخداع كان التكتيك التقليـدى للمخابـرات الروسية منذ العهد القيصرى .

ولكن التناقض يبدو فقط واضحاً من استعادة الأحداث . ففى كل لحظة تبدو فيها معظم عمليات المخابرات المركزية الأمريكية والـ سى. اى . اس السرية فى روسيا والدول التابعة لها بمثابة كارثة كان السياسيـون يطالبون بالمزيد . وكانت هناك أصوات قليلة فى المخابرات هى التى أبدت عدم موافقتها .

رغم الأوهام والخداع والاختراق منذ كان هناك عدد قليل هم الذين يبدون ريبه قبل تخطيط عمليـات التجسس فى حكمـة الاستمـرار فى تنفيـذ هـذه العمليـات وكـان شك القادمين من الخارج مثل تروسكوت لا يؤخذ فى الاعتبار .

ورغم ذلك وبعد تكرار مشاجرات عنيفة وافق ويزز رئيس او. بى. سى على مطالب الان دالاس بأن يـراجع عمليـاتـه . وكـان أول المستهـدفين من عمليـة التقييم فـرانك ليندساى نائب ويـزز الذى تعرض لانتقادات ووصف بانه « يـركب نمراً ويرفع رجليه بثبات فى الهواء » .

كان ليندساى وهـو ضابط شجاع ومخلص يظهر حذراً كبيراً عندمـا كانت تقدم إليـه مهام لنيل مـوافقتـه عليها . وكـان يجيـز أى مهمة فيهـا أى بصيص من الأمل فى النجاح . وهو الأمر الذى برره بعد ذلك بقوله « إننا كنا نعتقد أن نخوض حرباً ويجب ان ننتهى كل شىء فى سرع وقت » كما شرح كيف كـان يضطـر للخضـوع امام ضغـوط امتعاملين مع أو. بـى سى وقد قبل بـدون تفكير الجملة العاطفيـة التى قيلت فى « ان ـ

سى ـ إس ٦٨ » التى وصفت روسيا « بأنها تسعى إلى فرض سلطتها المطلقة على باقى العالم » .

لقد مـرت معظم عمليات « أو. بـى. سى » فى البانيـا وبولندا وروسيـا على مكتب لنيدساى بالتوازى مع الأمور المتعلقة بالحرب النفسية .

كان ليندساى يعمل على أمل النجاح فى إثارة انتفاضات وهبات قومية ـ فإذا فشلت ـ يمكن فى هذه الحالة العمل مباشرة لزعزعة النظام السوفييتى عن طريق إغراق البلاد ـ بهويات بدون معالم وبطاقات تموين .

أدت المراجعـات الأولى عـام ١٩٥٢ إلى تغيير طفيف إلا أنـــه مع نهايـة ذلك العـام تكشفت الكوارث وأصبح ليذساى رئيساً للجنة ميردد التى ستتولى مراجعة كل عملية بعد زيـارة مراكـز الدراســات والأبحاث الأمـريكية لـدراسة الـوسائل البديلـة لجميع المعلومات الاستخبارية .

بعد عودته أصبـح آلان دالاس مديراً للمخابرات المركزية الأمـريكية واستقر سى. دى جاكسون أسخن مقاتلى الحرب البارده فى البيت الأبيض. جـاء تقرير ليندساى عن تحقيقاته بمثـابة نعى له حيث قال : « لقـد فشلت عملياتنا ولا يوجـد بدائل » وهنا رد عليه دالاس بحدة : فرانك لا تقل هذا . وقـد برر دالاس بعد ذلك القيام بجميع العمليات ساخـراً بقولـه : « لقد أعطتنـا خبرة جيدة للحرب القـادمة » وانتهى الأمـر باستقـالة ليندساى وبقاء الآخرين فى الوكالـة وهم على قناعة أنه إذا جاء متطوعون فى الحال فإن خدماتهم ستكون مطلوبة .

وفى تلك الفترة جرت مراجعات مماثلة ولكـن أكثر تميزاً فى برودواى . وكان هارى كـار بطبيعة الحال مشـاركـاً فيهـا بكثافـة ونتيجـة فشل العـديد مـن عمليات إنـزال المجموعـات الاوكرانية من مجموعـة باندیـرا تمت الموافقة على اقامة مـركز مشترك مع المخابرات المركزيـة الأمريكية فى « اى. جى فاربن » فى فرانكفورت لـلاستفادة من أبناء روسيا البيضاء الذين زعموا أن هناك شبكة نشطة معاديةللسوفيت مازالت تعمل داخل الاتحاد السوفيتى .

وفيما كـان تـدريب عشرة على الأقل من أعضـاء « ان . تى . إس » فى كـاوفبرن تم الاتفاق على تدريب آخـرين فى المنطقة البريطانية ومع ذلك لم يكن كار مشاركـاً بطريقة مباشرة .

وذلك حسب روايـة ضابط الاتصال البريطـانى ميكى ليكوسكـى ، والياس ميكى بيترز ، الذى انضم إلى جورج بيليك لإدارة ماسيكـون فيما بعد أغلى عملية فى العالم إلى اس . أى . اس فى ألمانيا . من نـاحية أخـرى ظل كار يحكم قبضتـه على عمليات البلطيق التى كان يعتقد أنها ناجحة جداً .

خلال شهـور صيف عام ١٩٥٢ استجـابت مجموعـة الروبرتـس وماكسيس إلى السيل المتدفق من طلبات لندن للحصول على المعلومات الاستخبارية ، وكان يتم تداول هذه المعلومات وتصـنيفها على أنها « سرية جداً » ويتم إبـلاغها على أنهـا معلومات « موثوق بها » إلى ١٠ دواننج ستريت ووزارة الخارجية البريطانية .

ونتيجة لـذلك كان يتم تعميم السيـاسات البريطـانية بصفـة جزئيـة على أساس المعلومات المغلوطة القادمة من موسكو وعندمـا كانت طلبات لندن تزيد كان الرد سريعاً جداً ، [لسنا جواسيس بل مقاتلين من أجل الحرية يريدون الإطاحة بالشيوعيين لجمع المعلومات] .

وقد أثار هذا الرفض قليلاً مـن القلق فى لندن لأنه فى نهاية سبتمبر وانتظاراً لطول فترة الليل ارسل سيلاراجس إشارة بأن اثنين من الليتوانيين واثنين من اللاتفيين سيتم إنزالهم فى ليتوانيا فى خريف ١٩٥٢ .

وصل قارب كلوس كما هـو مقرر بدون مشاكل ، وكـان الليتوانيان هما زيجماس كوديـركا (كونـراد) و « ادموندس » الغـامض وقد نظم ماكبن حفلـة قبل مغادرتهما مباشرة ل « ادمونس » فى شقته فى هـامبستيد ورغم ان اس . أى . اس لم يكن لديها أى معلومـات موثوقة حـول هذا العميل ومع ذلك كان زيمانتـاس وفى المقابل ماكبن كـانا مقتنعين بمصداقيته .

لم يكن كوديركـا يعلم أن أول اثنين من الليتوانيين بعث بهما إلى اس . أى . اس إلى ليتـوانيا قـدألقى القبض عليهما أو أن ديكنيس فى دائرة الاشتبـاه ، لـذا كان يعتقـد أن العمليات فى غاية الأمان والخطر ضئيل جداً تاركاً وراءه عشيقته ـ دورثى كولير ـ وبعد أن رأى فى السنـوات القادمـة أيامـاً مروعـة كـان يردد بينـه وبين نفسه « أن كـلا من زيمانتاس وجون ليودزيوس قد أكد لى أن هناك أماناً وقد وثقت فيها وصدقتها » .

وأطلق على الرجلين اللاتفيين اسمين حركيين هما « ليـدوماس » الذى سربته كى ـ جى ـ بى وقضى ستة أشهر فى بريطانيا وكورت أحد العاملين على أجهزة الإرسال وبعد وصولهم تـوجه الأربعة إلى إحدى الغـابات فى حين تم تخزين إحدى عشر حقيبـة ثقيلة مملوءة بالأسلحة وأجهزة الراديو والأدوية فى أحد المخازن .

أخذ كلـوس معه راكباً واحد فى رحلـة العودة . بناء على طلب سيـلاراجس حضور أحد الاعضاء البـارزين فى مجموعة ماكسيس اختار لوكـاسيفكس جانيس كليماكانس الذى كـان قد ألقى فى إحـدى الغابـات مع بيركس .. وكان كليماكـانس ابناً لفـلاح لقى مصرعه رميـاً بالرصـاص بعد الحرب بواسطة اللصـوص أو البارتيزان . لـذا لم يفكر مطلقاً فى الانضمام إلى الحزب الشيـوعى . هذا الرجل المعروف بـوسامته ومهارتـه كان يعمل مسئـولاً بـارزاً فى الإدارة التعليميـة فى ريجا وقـد استغل لـوكـاسيفكس قـوتـه الواضحة فى الإقناع للحصـول على موافقته باختراق معسكر البارتيـزان على أنه قومى يـريد مقـابلة بيركس ، وعلى ذلك أصبح كليماكـانس خيطـاً فى مؤامـرة لوكـاسيفكس المحكمة بدقة ليستخدمه عند الحاجة فى المستقبل .

وبعد عامين وعلى متن قارب كلوس كان كليماكانس يقترب من كيل فى حقيبته وعاء به ورنيش أحذية . استبدت الحيرة بلوكاسيفيكس بالطلب الخاص من لندن الذى تلقاه من جبرائيل وقد عجز المستشـارون العلميون للـ كى ـ جى ـ بى فى معرفة أى وأسرار قد يكشف عنهـا المعجون ولكن الدوافع التى يكشفـونها فى وقت لاحق قد كشفت كثيراً عن خصومهم ، فقد كان أحد ضباط الـ اس . أى . اس يمتلك مصنعا لورنيش الأحذية وأراد ان يتعرف على المنتج المنافس .

وشعر كل من مـاكبن وسيلاراجس بـالارتياح بعـد وصول كليمانس فقـد كانت الإدارة تعانى من ضغوط وحضور كليماكانـس سيعطى مركز الاتصال الخاص فرص لكى يثبت لكار والمنطقة الشمالية أن فرعهم نظيف من الاختراق السوفيتى .

وقد كانت دهشة كليمكانس ـ كما أبلغ لوكـاسيفكس بعد وصوله بعدة أسابيع أنه لم يكن هناك أحـد على الإطلاق يشك فيـه « لقد حصلت على وثائق هـوية بـاسم ليون بلومبيرج وأرسلونى إلى اؤلد تشرش ستريت لقضاء ثلاثة أشهر فى التدريب .

فى واقع الأمر أن كل عميل جديد فى العادة يكون موضع اشتباه بطريقة تلقائية ولكن ثبت ان أفضل طريقة لتهدئة مشاعر عدم الثقة الطبيعية لدى القادمين الجدد هى المباداه بالمشاعر الودية وفى الغالب اذا ماوقعت أخطاء فادحة بطريقة غير متعمدة فإنها سرعان ماتظهر .

ولكن حتى حلول أعياد الميلاد عام ١٩٥٢ لم تكن هناك أى اشارة للشك فى كليمانس وكان سيلار جلس على قناعة تامة ان كليمانس بارتيزان حقيقى . وفى مطلع عام ١٩٥٣ وبموافقة من ماكبن قام بتقديم كليمانس إلى سفير لاتفيا تشارلز زارنيس .

أدى اندلاع الحرب الكورية إلى لفت انتباه زارنيس مثل كثير من الأوروبيين الشرقين فى لندن على الطلب المتزايد من جانب المسئولين العسكريين والأمنيين البريطانيين الذين يريدون معلومات أو مجندين لتنفيذ عمليات خاصة . وقد أدت هذه الطلبات إلى جانب التعهدات الواضحة من السياسيين الأمريكيين بهزيمة ستالين إلى دعم اقتناع زارنيس بأن صراعاً كونياً على وشك الحدوث .

قام ماكبن خلال زيارته المتعدة لدار المفوضية لأداء مباريات البريدج فى المساء بدعم اعتقاد زارمنيس بأن تشكيل ألوية من أبناء دول البلطيق فى ألمانيا وإنشاء شبكة مخابرات لاتفية شروط ضرورية لتحقيق حرية وطنه . وكان زارنيس يكتب فى مذكراته اليومية بعد زيارة من ماكبن او سيلارجاس عن أمله فى أن حركة المقاومة ستوجه ضربة لتحقيق الحرية .

ثبت فيما بعد أن الحرب الكورية كانت فرصة ضائعة إلا أن آمالا جديدة مماثلة انتعشت عندما توفى ستالين فى مارس ١٩٥٣ . وفى هذه المناسبة اخذ عديدون داخل البيت الأبيض يحرضون الرئيس الامريكى على استغلال حالة عدم الاستقرار المتوقعة فى موسكو وتوجيه ضربة وكان ماكبن وزارنيس يتبادلان الأوهام خلال ذلك بتشجيع من كليمكانس وفى تلك اللحظة كانت كى ـ جى ـ بى قد حققت التوازن الكامل من أجل تنفيذ المناورات الأمثل عن طريق عملائها فى كلا الجانبين وقدرتهم على توجيه الاسئلة الصحيحة لاستنتاج الإجابات الصحيحة .

وقد تظاهر كليمكانس أمام الرجلين اللاتفيين الموجودين فى لندن أنه مقتنع أن حرباً وشيكة واقعة لامحال ، وكدليل على اقتناعهما أشار سيلارجس وزارنيس إلى محادثتهما مع ماكبن ، ومن جانبه أقنع كليمكانس كلامن ماكبن وسيلارجس

وزارنيس أن البارتيزان تمتلك قدرات يمكن الاعتماد عليها فى حالات الطوارىء .

وتظاهـر كليمكانس وكانـه عميل محرض وبدا مقتنعا بضرورة وجـود اتفاق بين المتطوعين من لاتفيا والبعثة الموجودة فى لندن لإضفاء الصفة الرسمية على علاقاتهم .

وفى إبريل ١٩٥٣ تم تـوقيع الاتفاق بين زارنيس وسيـلارجس وكليمكانس « وقع باسم ليون بلومبرج » وتضمن إقـامة إطار للاتفيا بعد الحرب العالميـة الثالثة وتناولت الاتفاقية فى وثيقـة ضخمة بالتفصيل السياسـات المستقبلية للحكومة القوميـة واتفاقاً حول من البارتيزان سيتولى منصباً وزارياً فى حكومة يرأسها زارنيس .

وقد نجح كليمكانس فى إصراره على أن يتم تعيين كيبورس أحد العاملين على جهاز الإرسال وزيـراً للبريد على أن يتم تعيين البرتس دوبـولس « فورست » مـوظفاً كبيراً فى سلك الخدمة المدنية .

كان كليمكانس يتـوقع أن يعود فى شهر مايو آلان كلوس أبـدى اعتراضاً نظراً لأن الليل فى تلك الفترة كان قصيراً جداً لايسمح بـوجود فترة أمان للوصـول ومغادرة المياه الإقليميـة السوفيتيـة وهنا فـرض على كليمكانـس أن يبقى فى بريطـانيا حتى حلـول الخريف .

لم يبد لوكاسيفكس الذى تلقى تقاريراً منتظمة من لندن عن طريق البعثة التجارية السوفيتية فى لندن قلقاً بالغاً بل على العكس كـان وجود عميل موثوق به ومستقر داخل منظمة اس ـ أى ـ اس يعد بمزايا هائلة .

وفى ظل هذا كان الضحيـة الوحيدة هو ليونيدس زارنيس أحـدث عملاء المخابرات المركزية الـذى تم إنزاله جواً فى أراضى لاتفيا يوم ١٤ مـايو ، وتم سحب زارنيس ثانى مجند لهارتمان فى اللحظة الأخيرة .

الواقع ان ولاء ليونيدس زارنيس للبعثة لم يهتز أبداً حتى عندما أصر هارتمان على اولويته هى إرسال معلومات عسكـرية حول تنظيمات الجيش الأحمر وإحدث قاذفات القوات الجوية وأى تفاصيل تتعلق بالبرنامج النووى السوفيتى .

لم يستطع هارتمان أن يوفـر إقامة آمنة للعميل أو تفـاصيل دقيقة عن لاتفيا التى غادرها زارنيس شاباً مراهقاً ولايعرف الكثير عنها .

وكان هارتمان اتخذ إجراءات بسيطة لحمايـة عملية من احتمالات أن يواجه عملية

خداع تدبرها كى ـ جى ـ بى باستخدام اوسولنيس .

لقد كانت عمليات إسقاط زارنيس بالمظلة التى استغرقت ٣٠ ثانية هى عملية سقوط فى المجهول باستثناء واحد هو تزويد هارتمان عملية البرىء بحقيبة تحتوى على ٢٥ ألف روبل لتوصيلها إلى اوسولنيس .

لم يتم أبداً إجراء أى تحقيق بعد المهمة حول لماذا خرق هارتمان قاعدة أساسية فى عمل المخابرات لإجراء احتياطيات تتعلق بمكان المهمة وعندما حل وقت لإجراء مثل هذا التحقيق كان هارتمان يعمل خبيراً فى إدارة مكافحة التجسس المضاد مع جيمس انجليتون ويشاطر رئيسه هاجس وجود عملاء متسللين من كى ـ جى ـ بى اخترقوا صفوف المخابرات الامريكية .

فى عام ١٩٥٣ بدا هارتمان متأكداً من حكمه لأنه فى الوقت الذى ألقى فيه التهم الساخرة على بريطانيا بسبب الافتقار إلى الاحتياطيات الآمنة كما بدا فى فضيحة بورجيس ـ ماكلان قام بإرسال إشارة إلى اوسلينس يبلغه فيها أن الأموال التى طلبها ستصله فى ميعاد ومكان محددين وأبلغه أيضاً بكلمة السر التى سيتم استخدامها . وحتى قبل أن يطير زارنيس لعبور الأطلنطى كان بوندوليس يعرف أنه اذا ماانتظر بعض الوقت فإن أحدث عميل للمخابرات المركزية الأمريكية سيقع فى الشرك .

بعد أسبوع واحد وقع المحتوم فقد شعر زارنيس بانزعاج من الوحدة والخطر وصعوبة المهمة اندفع إلى مقابلة اوسولنيس فى وسط مدينة ريجا وبعد تبادل كلمة السر تم اقتياده إلى احدى الشقق حيث تم تقييد يديه فوراً حتى لايتمكن من ابتلاع حبوب السيانيد وكان عليه أن يواجه مصيره وبعد انتهاء اعترافاته تم إرساله إلى سيبيريا ليلقى حتفه هناك بعد أن قرر رجال فيفيرز ذلك .

فماذا كان الموقف فى ألمانيا ؟ وفى ظل انقطاع رسائل زارنيس بعد رسالته الأولى التى أفاد فيها بوصوله سالماً وصلت رسالة من أوسولنيس يسأل فيها عن مكان الاتصال به ويبدى سخطه من الخطر الذى يواجهه نتيجة ظهوره المتكرر فى المكان المتفق عليه سابقاً .

استبدت الحيرة والقلق بهارتمان وأصاب الاكتئاب برومبرج الضابط الذى قام بتدريب زارنيس حيث كان اختفاء ذلك الأخير أمراً غير مفهوم ومع حلول نهاية شهر يونيو ومع إلحاح اوسولنيس على الأموال يقبل هارتمان فكرة أن زارنيس قد فقد وأعد

ترتيباته لإرسال خطاب يحتوى على الأموال المطلوبة مع أحد رجال الأعمال المسافرين إلى روسيا بطريقة مشروعة لإرسال الأموال بالبريد من هناك إلى ريجا .

بعد أن تلقى اوسولنيس الأموال أرسل إشارة يعبر فيها عن استيائه الشديد بسبب ضآلة المبلغ المرسل وخطورة الطريقة التى أرسل بها . لقد كانت استراتيجية فيفيرز تقوم على ضرورة استمرار الاتصالات بين اوسولنيس وهارتمان حتى يتمكن من التعرف على أى عملاء جدد قادمين من طرف المخابرات الأمريكية وهنا كان يتعين أن يظهر اوسولنيس بمظهر بائس ولكن يواجهه بشجاعة .

ووسط تكرار طلباته من أجل الحصول على أموال جديدة أرسل اوسولنيس ـ ذلك العميل الأسير ـ بناء على تعليمات من كى ـ جى ـ بى نداءً إلى برومبرج الذى كان قد نقل إلى السويد جاء فيه « لقد أخبرت كول » مراراً وتكراراً بالورطة المزرية التى أعيشها ولكنه لم يفعل شيئاً إنك وحدك القادر على فهم الموقف لذلك أطلب مساعدتك فوراً وإلا ذهب جهدى كله هباءً « منثوراً » تأثر برومبرج بهذه الرسالة كما كانت تهدف كى ـ جى ـ بى وتم إرسال ٢٥ الف دولار أخرى مع احد المتعاونين حتى يتمكن اوسولنيس من الهرب وفى ذات الوقت شعر برومبرج بالذنب نتيجة إرساله زارنيس ليلقى حتفه .

واتخذ قراراً بأن يذهب هو بنفسه إلى لاتفيا للوقوف على مصير الشبكة هناك واشترط قبل ذلك عزل هارتمان بعيداً عن أى نشاط يتعلق بهذه العملية على أن يحل محله جون اوستين الذى يدخن بشراهة والذى وافق على عدم التدخل فى عملية التدريب التى يقوم بها برومبرج كما اشترط أيضاً إبلاغ أسرة زارنيس بخبر وفاته .

وفى مطلع عام ١٩٥٤ استقبل والد زارنيس الذى يعمل طبيباً فى النرويج زائراً غير متوقع ادعى انه من الشركة التى يعمل بها ابنه ـــ بيل تليفون ـ وقد أخبره هذا الزائر أن ابنه لقى حتفه فى حادث تحطم طائرة فوق فيتنام ولم يتم العثور على رفاته .

وتظاهر مندوب الشركة المزعوم بالحزن وهو يسلم والد زارنيس مبلغ ١٥ الف دولار قيمة التأمين المستحقة له لدى الشركة . ولم يحدث بعد ذلك أبداً أن عرفت أسرة زارنيس بتفاصيل القضية وقوبلت كل الأسئلة التى واجهها فى واشنطن بالتجاهل التام ، وفى تلك الفترة تم إنزال برومبرج داخل الاراضى الروسية .

وتم تسليم الـــ ٢٥ الف دولار الجديدة إلى اوسلنيس عن طريق أحد المتعاونين مساعدة اس ـ أى ـ اس والتى كان رجالها فى غاية السعادة بسبب نجاحهم مقابل

فشل الامريكيين ، وكان الرجل الذى حمل المبلغ هـو كليمكانس لدى عودته إلى لاتفيا فى خريف عام ١٩٥٣ جاء وداع كليمكانس فى لندن بعد عام دافئاً كشهادة ثقة رجال اس ـ أى ـ اس فى شبكتى البارتيزان .

عاد كليمكـانس هذه المرة محمـلاً بالأسلحة والأدويـة وأجهزة الـراديو والخرائط وحوالى مليون روبل وكان المبلغ كافياً لكى يتباهى لوكاسيفكس بعد ذلك بأن اس ـ أى ـ اس قامت بتمويل عمليات الخداع التى نفذتها كى ـ جى ـ بى .

كان على نفـس قارب كلوس انستيـاس دوكايتيس (البينـاس) وهى من ليتـوانيا وهنيو كار كمان (البرت) مـن استونيا وكان قد تم تـدريبهما كفنيين للعمل على جهاز الإرسال وتمت مساعدتهما للوصول إلى المكان المحدد لوصولهما .

رغم ان الاحتفـالات بأعياد الميـلاد فى روسيا الشيـوعية لم تتم بعـد إلا ان فيفيرز ولوكاسيفكـس وبوندوليس كانـوا فى غاية السعادة مع اقتراب نهايـة عام ١٩٥٣ وكان نجاحهم يعـود فى جزء كبير منـه إلى دقة تطبيق القـواعد الـواردة فى الكتاب الـذى ألفه فيلكس دزيرزنسكى .

سرعان مـا تلاشت هذه السعادة بعـد إعلان قصير عن تنفيذ حكم الإعـدام عشية الاحتفـال بأعياد الميـلاد فى لافرنيتى بيريـا رئيس جهـاز كى ـ جى ـ بسبب ارتكابـه سلسلة من الجرائم والتجسس لحساب قوة أجنبية .

ولم يكن من الممكن الحيلولة دون تأثر تنظيم الشرطـة فى ريجا بالاضطرابات التى وقعت فى مـوسكو وهـاهم الضباط الـذين نفـذوا أحكام الإعـدام فى زملاء لهم بتهمـة الانحراف عن خط بيريا يواجهون العقاب بصـورة مفاجئة وأصبح القاطنون فى شارع لينين أكثر قلقاً إزاء الأمن داخل المبنى من أمن الجمهورية .

وكـانت النتيجة التى تـرتبت على ذلك بطء وصعـوبـة فى الاتصالات مع المركـز فى موسكو وفى تلك اللحظة بالضبط التى أكد فيهـا البارتيزان عن طريق كليمكانس للندن انهم سيرسلون مزيـداً من المعلومات الاستخباريـة فى مقابل إرسال مزيـد من العملاء والمعدات والأموال .

وصل الطلب المتوقع من برودواى بالحصول على مزيد من المعلومات الاستخبارية فى الثـانى من فبراير عـام ١٩٥٤ فى إشـارة طويلـة على غير المعتـاد وقد شرحت لنـدن

لمجموعة روبرتس طبيعة المعلومات التفصيلية المطلوبة حول مصانع محددة وترسانات بناء السفن ومحطات الكهرباء والموانىء وطلبت لندن بصورة أكثر إلحاحاً عينة من مياه نهر توبول فى الأورال حيث كان من المعتقد أنه تم تشغيل مفاعل نووى حديثاً فى المنطقة وكانت إس ـ أى ـ سى تريد أن تدرس قدرات المفاعل .

أرسل جبرائيل « سيلارجس » إشارة طلب فيها إيفاد جانيس أرجلز الذى قضى فترة من الوقت مع إس ـ أى ـ إس فى لندن إلى المنطقة لوضع رسم كروكى وإذا كان من الضرورى خلط لتر من مياه النهر بالكحول لتفادى أى شبهات وعليه أن يدفن الزجاجة بعد ذلك فى مكان محدد بالقرب من ريجا على أن يتم نقلها فى وقت لاحق .

فى شهر مارس أبرق إرجليس إلى لندن أنه قام بتنفيذ المهمة بنجاح وفى المقابل طلبت برودواى من مجموعة ماكسيس استعادة الزجاجة وتسليمها إلى كلوس الذى كان على وشك أن يقوم بإنزال مزيد من العملاء خلال عدة أسابيع .

ومع اقتراب موعد وصول القارب انتشرت أنباء بين مجموعة ماكسيس أن العميل جانيس بيلسيتنيكس (هوجو) الذى كان يقضى الشتاء مع ريميس فى شقته فى ريجا يعانى من انهيار على عكس اوبانس كان هوجو يلوز بالصمت والانطواء حتى وصل إلى درجة من الفزع تحول دون مغادرته الشقة وقد جاء رد فعل جبرائيل بإيجاز شديد قائلاً : (نحن نعرف أنه عبىء كبير) . وقال يمكن ان نعتبر ان هوجو قد هلك من أجل قضية وطنه الام .

ربما بسبب موت ستالين حديثاً وانفراج الأمور فى الاتحاد السوفيتى بصورة طفيفة أو ربما خوفاً أن تؤدى هذه الامور إلى تعزيز مكانة الأنصار رفض لوكاسيفكس تنفيذ حكم الإعدام الذى طرحه سيلارجيس . وبناء على ذلك تم شحن الزجاجة الثمينة مع بيليتنيكس إلى ٢٠٨ اس عند الوصول فى نهاية شهر مارس .

بعد مضى أقل من ثلاثة أسابيع انهالت دفعة من الاسئلة على ارجليس من لندن هل هناك حيوانات ترعى فى الحقول القريبة ؟ ماهى أقرب قرية ؟ وكانت كل إجابة يرسلها تثير سيلاً من الأسئلة الأخرى وبلغت هذه العملية الذروة بطلب موجز من برودواى بضرورة إرسال مندوب من مجموعة روبرتس إلى لندن فوراً .

وهنا انقلب ارتباك لوكاسيفكس إلى قلق باغ عندما استفز رده بعدم امكانية تدبير أحد من مجموعة روبرتس طلباً جديداً بإرسال أحد الأنصار مشفوعاً برسالة تهديد

« إذا لم يأت واحد من البارتيزان واحد اعضاء روبرتس إلى لندن فإن جميع الاتصالات ستقطع » ، وكان من الواضح ان هناك ازمة ما .

ارتاب لـوكاسيفكس فيما اذا كان بيليتنيكس قد اكتشف الحقيقة حـول الخديعة وبعد مراجعة العمليات برمتها كان الاعتقـاد الغالب لدى كى ـ جى ـ بى أنه ربما تكون وفاة « تومس » « بيرزنيس » هى التى ادت إلى الازمة .

ربما كان هذا العميل مرتابـاً وعبر عن قلقه بإرسال خطاب سرى قبل قتله . وربما الاكثر احتمالاً ان برودواى لاحظت كما لاحظ هو نفسه ان مزيداً من عملاء اس ـ أى ـ اس الذين ارسلوا إلى مجموعة ماكسيس وقعوا فى الاسر او قتلوا اكثر من الذين انضموا إلى مجموعة روبرتس .

وعلل لوكاسيفكس الموقف بان برودواى قد اقتنعت ان الاحتكاك يؤكد الثقة فى حين ان الامان يعادل الاختراق ، وكان الغالب الرغبة فى عدم إرسال سبيتر رينهولدز الضابط البارز فى مجموعة روبرتس إلى لندن لانه يعرف الكثير خوفاً من نجاح المحققين فى اس ـ أى ـ اس فى معرفة الحقيقة منه

وكان البديل هو إرسال ضابط ماهر ولكن جاهل يمكنه امتصاص شك البريطانيين حول روبرتس دون ان يكشف عن الكثير .

ووقع الاختيار على عميل كى ـ جى ـ بى مارجيرز فيتوانيس وهـو فنان يبلغ من العمر ٣٥ عاما وهو أيضا طبيب مارس العمل السرى خلال فترة الاحتلال الالمانى .

وفى عـام ١٩٤٧ حقق فيتولينس انقـلابـاً كبيراً عندمـا قـدم نفسه على أنـه عميل بـريطانى ذهب إلى الغـابـات وأجرى اتصـالات مع مجمـوعـة حقيقية من الأنصـار ـ البارتيزان ـ حيث أبلغ كل مجموعة أن ضابطاً بريطانيا بارزاً سيعقد مؤتمراً صحفياً فى ريجا لشرح آخر تكتيكات تحرير لاتفيا ، ومع البريطـانى يكون رئيس حكومة لاتفيا فى المنفى الذى تم تهريبه إلى داخل البلاد مؤخراً .

وبعد ان قام بتهـدئة الشكوك الأولية لدى قادة الأنصـار ـ البارتيزان ـ قام أيضاً بتهدئة مخاوفهم حول سلامتهم قائلاً لاتقلقوا فإن البريطانيين منظمون جداً وأستطيع أن أحصل لكل واحد منكم على بطـاقة هويـة صالحة وكل مـا أحتاجه هـو صورة لكل مندوب وقد اقتنع حوالى ١٥ من قادة الأنصار تماماً بما قاله الرجل وعاد بالهويات التى بدت حقيقية .

واخبر كل واحد منهم بمفرده أن الاجتماع سيعقد يوم ١٣ ابريل فى ريجا .

فى يوم ١٤ ابريل بعد أن قام قادة الأنصار بإبلاغ (الضابط البريطانى) بتفاصيل نشاط كل مجموعة على مدى أربع وعشرين ساعة تم إلقاء القبض على الجميع ولم يرهم أحد بعد ذلك .

بعد ذلك بسبع سنوات قرر لوكاسيفكس ان فيتولينيس هو الرجل الوحيد الذى يستطيع السفر إلى لندن لإنقاذ عملية لارسن اس وخلال شهر من التعليم من جانب لوكاسيفكس وبوندونيس لم يتم ذكر أى شىء له عن المياه الإشعاعية أو عن الأزمة .

وتم إحاطته علما فقط بانشطة البارتيزان فى الغابات والإجراءات التى يتبعونها فى إرسال المعلومات الاستخبارية إلى لندن وقالا له : « إن مهمتك هنا أن تطمئنهم على أن المجموعة بخير » وكان لوكاسيفكس يردد له يومياً « إنك تعرف فقط ثلاثة من أفراد مجموعتك ولم تكونوا على اتصال ابداً بفنى الراديو المرسلين من لندن » .

وتواجد من إجراءات الحذر والريبة التى تنتاب لندن لأول مرة عند وصول ٢٠٨ اس فى سبتمبر ١٩٥٤ . لم يسلم كلوست عملاء او موارد جديدة . ولم يدر أى حديث عندما تسلق فيتولنيس « ذى لادى جان روسل .

***